كتب اليازوري وزير المستنصر
إلى ابن باديس وأهل أفريقية قائلاً:

أما بعد :
فقد أرسلنا إليكم خيولاً،
و حملنا عليها رجالاً فحولاً،
ليقضى الله أمراً كان مفعولا.

1 - ابن خلدون - كتاب العبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون) جـ 4، صـ 131.

هجرات القبائل العربية إلى الديار الليبية

توالت على العالم الإسلامي أكثر من دولة بعد الخلافة الراشدة. فكانت أولها دولة بني أمية. أسسها معاوية بن أبى سفيان 661م (41هـ)، والذي ورثها لابنه يزيد، ودام حكمهم 89 سنة وتبادلها 14 خليفة، وسميت بالدولة الأموية، وعرفت بنعرتها ونزعتها للعرب، وخاصة لبني أمية، وعدائها للهاشميين، وخاصة العلويين، وسوء معاملتها لبعض الموالي (المسلمين من غير العرب). بلغ هذه التعصب درجة لا يسمح لغير العربي بإمامة المسلمين في الصلاة. أطاح وقضى على

1 - اشتهر بالدهاء والحلم، قاتل الخليفة الرابع علياً كرم الله وجهه في معركة صفين، وصالح ابنه الحسن الذي تنازل له عن الخلافة. بايعه وقاتل معه أول قادة الفتح في ليبيا عمرو بن العاص ضد الإمام علي. نقل عاصمة الخلافة إلى دمشق وجعلها وراثية في ذريته. أمر ببناء أول أسطول بحري عربي.
راجع: الزركلي - الأعلام جـ 7، صـ 262.

2 - نقل البعض لا سيما الشيعة بأن خطباء بني أمية كانوا يسبون ويلعنون الإمام علي وزوجه فاطمة الزهراء وأبناءهم من فوق المنابر تلبية لأوامر خلفائهم، وعندما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان أوقفها وأستبدلها بقول الله تعالى "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكروالبغي ..". وسرعان ما إسترجعوها ثانية بعد موته، ولكن كذب البعض الآخر في ذلك واعتبره تحاملاً في غير محله.
راجع: الصلابي - سيرة أمير المؤمنين وخامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب صـ 350-357.

3 - المزيني - مصدر سبق ذكره صـ 66.

دولة بني أمية العباسيون الهاشميون بقيادة عبد الله السفاح، ودام حكمهم 508 سنة وتبادلها 37 خليفة. وبعد فترة من المنعة والحكم المركزي، تسلل نفوذ الموالي إلى جسد الخلافة، مما أدى إلى انفصال عدة دويلات عن الكيان العباسي، منها الدولة الفاطمية (العبيدية)، وهم من الشيعة أتباع المذهب الإسماعيلي 909-1171م (297-567هـ)، التي أسسها عبيد الله المهدي في المهدية بتونس، ومن بعده 13 خليفة.

1 - بويع لهم في خراسان وتستلموا الحكم ونقلوا مركز الخلافة إلى بغداد. واستحوذ الفرس على زمام الدولة، ومن ثم المماليك الترك الذين حجموا النفوذ العربي، وأدى نفوذهم إلى قيام الدولة العثمانية فيما بعد. انفصلت عن جسم الخلافة العباسية دول كثيرة انفصالاً كلياً أو جزئياً كالدولة الحمدانية في حلب، والإخشيدية والأيوبية في مصر، والفاطمية في أفريقية، و الغزنوية في خراسان وأفغانستان والهند، والسامانية في خراسان وما وراء النهر. وفي عهدهم ازدهرت الحضارة العربية الإسلامية واتسعت رقعتها، ونضجت الحياة الأدبية والفكرية في كل العلوم الدينية والعلمية.
Bosworth, op. cit., p 10.

2 - سُموا فاطميين نسبة إلى فاطمة الزهراء - رضى الله عنها، وينتسبون إلى السلالة العلوية عن طريق إسماعيل بن جعفر الصادق. فهم شيعة إسماعيلية خلافاً للأثنى عشرية والزيدية. اخضعوا شمال أفريقيا وجنوب إيطاليا بما فيها صقلية، وبسطوا نفوذهم على سوريا ولبنان وفلسطين. تولى صلاح الدين الأيوبي وزارتهم، فتصرف في شؤون الملك في مصر، فانفرد بها وأزال دولتهم. أهم أثارها العمرانية مدينة القاهرة، عاصمة مصر الحديثة، والثقافية بناء جامع الأزهر الشريف بالقاهرة.

3 - Bosworth, op. cit., pp 46-48.

4 - ينسب إليه العبيدون؛ وهو عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر من ذرية الحسين ابن علي - رضي الله عنهم. اختلف النسابة فيهم، فأكد ابن خلدون صحة نسبهم وقال: ولا يلتفت لإنكار هذا النسب، وله على صحته حجج ويجرح في رواية من ينكره أو يقدح فيه (المجلد الثالث صفحة 380). بينما أنكر أبن حزم في جمهرة الانساب عليهم شرف الأنتساب إلى آل البيت وقال: هذه دعوى مفتضحة وكذب فاحش.
راجع: الزاوي - تاريخ الفتح العربي صـ 232.

حصلت حركتهم على دعم قبيلة كتامة البربرية وتشيع لهم شيوخها وسوادها، وفي عهد المعز زحفوا إلى برقة فواجهتم مقاومة شديدة من قبائلها الذين رفضوا التشيع، ولكن استطاعوا أن ينتزعوا منهم الطاعة بحد السيف. ومن ثم فزان ومنها إلى مصر، وانضمت إليهم قبيلة زويلة البربرية وآخرون بقيادة جوهر الصقلي الذي بنى القاهرة وجعلها عاصمة لهم. واستخلف المعز بعد انتقاله إلى القاهرة بلكين الزيري الصنهاجي البربري في حكم أفريقية ليغطي تونس وطرابلس وشرق الجزائر.

أصبح المعز بن باديس أحد حكام بني زير في الدولة الفاطمية، ونُصب أميراً بعد موت أبيه عام 1015م (406هـ) على أفريقية التي كان أكثر الناس فيها مع مذهب الشيعة الإسماعيلية الفاطميين، ولكنه كان يظهر التشيع لهم ويبطن التسنن على مذهب الإمام مالك مناقضاً لما كان يفعله إباؤه؛ ولكن سرعان ما اكتشف أمره، فوقفت معه القبائل الكبرى كصنهاجة وزناتة. فحرضهم بمعية علماء المالكية على قتل الشيعة الذين يسبون الصحابة ويتركون صلاة الجمعة، ومزق راياتهم وأمر بلعنهم على المنابر. فقضى على مذهبهم ومذاهب المعتزلة والخوارج - مستثنياً الإباضية - وحمل كل الناس على المذهب المالكي. وفي سنة 1051م (443هـ) انضم إلى ابن باديس أمير

1 - الزاوي - أعلام ليبيا صـ 273-274.
2 - كانوا ينادوا بقتل المشارقة، أي كل من كان متشيع للمذهب الفاطمي الذي أتى من الشرق. الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا صـ 288.

برقة وأهلها ونبذوا الطاعة للعبيديين ودعوا للقائم بأمر الله العباسي.

وعندما فك ابن باديس عقد البيعة للفاطميين سنة 1050م (442هـ) وتحويلها للعباسين اعُتبر هذا العمل بمثابة إعلان الحرب، فأشُير على الخليفة الفاطمي الثامن المستنصر بالله من قبل أعوانه، وعلى رأسهم وزيره الحسن بن علي اليازوري، بإنزال أقسى ما يملكون من عقاب بابن باديس ، فرأوا ليس في ملكهم أسوأ من أن يبعثوا له جراد القرامطة العرب من بني هلال وسُليم والمنضوون معهم.

هلال وسُليم، حسب تصانيف الأنساب العربية، يعتبران من قبائل مضر المنحدرة من عدنان، فهما ينتميان إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، من العرب المستعربة من سلالة إسماعيل بن الخليل إبراهيم عليهما السلام، وكانت من القبائل ذوات السيادة والريادة في عرب الجاهلية والمقدرة على القتال والتضحية في تاريخ الإسلام مما اكسبهم هيبة وأهمية في شمال إفريقيا. بعدما سيطر المسلمون من العجم على أجهزة الدولة العباسية اعتصموا بصحراء نجد، وتشيعوا

1 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره صـ 333.
2 - الزاوي - تاريخ الفتح صـ 277، 287-291.
3 - أسُندت إليه الخلافة 1036-1094م (428-487هـ) وهو في السابعة من العمر فاستبدت أمه بأمر الدولة. دام عهده أكثر من نصف قرن، وفيها أصيبت الدولة الفاطمية بنكسات متعددة، منها المجاعة التي أصابت مصر لسبع سنوات، فخسر ممتلكات الفاطميين في شمال أفريقيا.
4 - مؤنس - أطلس تاريخ الإسلام صـ 81-85.

للقرامطة ولمذهبهم ولدولتهم في الشام.

يصفهم ابن خلدون بأنهم: مجرمون لصوص وقطاع طرق قوافل الحجيج، عاثوا فساداً في الأرض بالطاعة العمياء للقرامطة، فكتب: كانت هذه القبائل تغير على الضواحي ويفسدون السابلة ويقطعون الطرق، وبني سُليم كانت تغير على الحجاج أيام موسم الحجاج بمكة، وأيام زيارة المدينة المنورة.

وبعد إجهاز الفاطميين على القرامطة ودولتهم جاءوا بهذه القبائل البدوية الشرسة وأنزلوها بالعدوة الشرقية بصعيد مصر، ومنعوهم من التنقل أو المغادرة إلا بأذنهم، مما ضيق عليهم العيش وجمد حياتهم البدوية.

أراد المستنصر أن يؤدب هؤلاء البدو الجفاة، ويتخلص منهم بأولئك المنشقين الجاحدين من ابن باديس وأتباعه، وذلك بضرب

1 - يدعو بأنهم من شيعة أهل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق. وسموا القرامطة نسبة إلى حمدان بن قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة في جنوب العراق سنة 891م (278هـ). دام حكم مؤسس دولتهم الحقيقي سليمان بن الحسن بن بهرام لمدة 30 سنة. انتشرت معتقداتهم وأفكارهم بين بدو بني سُليم وكثير من ربيعة بن عامر، وصاروا جنداً لهم، الذين كانوا يفتكون لهم بالحجاج وينهبونهم. وانتشروا في جنوب شرق الجزيرة باليمن وعمان وجزيرة البحرين. واستولوا على مكة المكرمة سنة 929م (317هـ)، وفتكوا بالحجاج، وملئوا المسجد الحرام بالقتلى، واقتلعوا ونقلوا الحجر الأسود وهدموا زمزم ونزعوا كسوة الكعبة وقلعوا باب البيت العتيق وسرقوه إلى الاحساء. ثم ردوه بعد 22 سنة. ثم انتزعوا دمشق من الفاطميين سنة 970م (360هـ)، وزحفوا علي مصر فقابلهم وهزمهم المعز الفاطمي سنة 972م (362هـ). قضى عليهم أمراء العُيونيون في البحرين 1027م (418هـ)؛ فانقرضوا وانتهى أمرهم بعد أن دامت حركتهم قرابة قرن من الزمن.
راجع: موسوعة المورد - مادة: (القرامطة).
2 - شنقارو - قتنة السلطة صـ 257-267.
3 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره صـ 331-335، 343-346.

عصفورين بحجر واحد. فاتصل بزعماء وشيوخ قبائل زغبة ورياح العربية، وكان بينهم خلاف وحرب فاصلح بينهم؛ وصار يصف لهم أفريقية وما فيها من خيرات ونعيم، وما فيه ابن باديس الجاحد من ترف وبذخ، وقلل من قوته وسلطانه. ففكر الشيوخ في الخروج من ضيق العيش، وحلموا باستئناف حياة البدو في حلها وترحالها قريباً. ومازال المستنصر بهم حتى أجابوا دعوته. أعطاهم المال، ولكل رجل بعير بما يعينهم على السفر وقال لهم: لقد أعطيناكم أفريقية وملك ابن باديس، العبد الآبق، فلا تفتقرون بعدها.

وكتب اليازوري وزير المستنصر إلى ابن باديس وأهل أفريقية قائلاً: أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً، وحملنا عليها رجالاً فحولاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولا.

فساحت وسرحت مئات من الآلاف من قبائل العرب وحلفائهم في تغريبة ملحمية وهجره هائلة سنة 1051م (442هـ). وهذه الهجرة كانت عبارة عن طوفان بشري، تدافعت على شكل موجات متتابعة، كانت كبراها الموجة التي دخلت برقة وعبرت إلى طرابلس، ولم تقف هناك بل غربت في انسياب إلى بقية المغرب الإسلامي. وأبناء هذه القبائل كانوا مهاجرين

1 - وتعني العبد الغير معتوق الفار من سيده .. وهذه مذمة ومنقصة في الأمير المعز بن باديس.
2 - راجع: د. عثمان سعدي (عرب يظلمون الهلاليين وأكاديمي أمازيغي يدافع) - جريدة الشرق الأوسط، عدد 8655 بتاريخ 9 أغسطس 2002م.
3 - ابن خلدون - كتاب العبر، جـ 4، صـ 131.
البرغوثي - مصدر سبق ذكره صـ 334.
4 - قيل انه عبر صحراء ليبيا نصف مليون من قبائل العرب.

بأسرهم وأمتعتهم وحيواناتهم، منها قطعان هائلة من الإبل والحمير التي وهبها لهم المستنصر. وكانت في طليعتها اثبج ورياح من بني هلال بن عامر الذين كانوا أول من اجتاح ليبيا في الهجرة الأولى للقبائل العربية، ثم لحق بهما فوج أخر ممثلاً في زغبة، وقد أسندت إلى أمرائها الزعامة والسيادة على الأراضي التي سيطروا عليها، ثم لحقت بهم القبائل المنتمية إلى القبائل الهلالية الكبرى مثل جشم والمعقل، ثم دفعات اصغر حجماً من طرود وعدوان. وكان هؤلاء جميعاً يمثلون تركيباً متفاوتاً في تجانسه، وقد أخذ ركب النازحين يزداد ويتضخم طوال مسيرة الهجرة، ويُطعّم بعناصر مختلفة من المنطقة ومن بينها بنو قرة الذين كانوا في برقة، وقبائل أخرى مما استقرت بعد الفتح مرحبين مع بقايا قبائل البربر المسلمة بإخوانهم في العقيدة والدرب.

ومن بعدها لحق بها بنو سُليم بن منصور، وهلال وسُليم عرفا بميلهم إلى الحرب والغزو، وكان ذلك حاضراً في حسبان وبرعاية تدابير الخليفة الفاطمي المستنصر. فاجتازوا ضفة النيل

1 - الزاوي - تاريخ الفتح صـ 293-294.
2 - يرجع بني هلال إلى هلال بن عامر، بن صعصعة، بن معاوية، بن بكر، بن هوازن، بن منصور، بن عكرمة، بن خصفة، بن قيس عيلان بن مضر العدنانيين. وكانوا يقطنون الحجاز ونجد وحول مكة وفي بسائط الطائف، وما بينه وبين جبل غزوان، ثم أقاموا بالشام وإلى مصر والمغرب الإسلامي. لازالت لهم فلول في نجد وشرق الجزيرة العربية وبادية الشام، ولكن الأغلبية العظمى في المغرب الإسلامي.
3 - البرغوثي - المصدر نفسه صـ 335-340.
4 - من سليم بن منصور، بن عكرمة بن خصفة، وخصفة بطن من قيس عيلان بن مضر، من العدنايين.

الشرقية ورحلوا عن صعيد مصر كالجراد المنتشر. وقد توقفوا ببرقة برهة من الزمن. ثم ارتحلوا غرباً إلى طرابلس واكتسحوا تونس ومنها إلى المغرب الأقصى. كل هذا عقاباً لابن باديس وجزاءاً لقبائل العرب نفسها.

عندما وصلوا ليبيا اقترع بنو سُليم وبني هلال على البلاد ففاز بنو سليم ببرقة وما حولها، ولبني هلال غربها: طرابلس وقابس. ودفع بنو سليم ببني هلال غرباً. ومن الدفعة الأولى من الهلاليين الاثبج، ورياح. والدفعة الثانية تكونت من بني زغبة وجشم. وبعد أعوام لحق بهم بنو عدوان، وطرود. وكذلك كهلان وهي قحطانية؛ وقبائل أخرى غير مشهورة من فزارة واشجع من بطون غطفان، وعدى، وسلول بن مرة، والمعقل من البطون اليمنية. والاثبج في الهلاليين أوفر عدداً، وأكثر بطوناً فيمن دخل ليبيا.

فعندما دخل بنو سليم برقة وما حولها، وجدوها شبه خالية، لأن أهلها البربر حاربوا المعز لدين الله الفاطمي ففتك بهم حتى كاد يفنيهم سنة 968م (357هـ). أما في الغرب فخرج المعز بن باديس إليهم في طليعة من عرب الفتح من رياح وزغبة وعدى، وبربر زناتة وأبناء عمومته من الصناهجة ومن السود لصد هذا الزحف. فخانه عرب الفتح وانضموا وتحيزوا للهلاليين وللعصبية القديمة، وخذلته زناتة وصنهاجة، فحلت بالمعز هزيمة نكراء، ولكنه استمر في المراوغات لحفظ ماء وجهه وحفظ ما

الزاوي - المصدر نفسه صـ 296.
المصدر نفسه صـ 295.
.Bosworth, op. cit., p 46

تبقى من ملكه المتهالك. وبعد محاولات فاشلة لرشوة العرب وتطاحن بينه وبينهم وملاحم كادت تفنى الطرفين. استطاع العرب بعد حرب ضروس مع ابن باديس أن يتغلبوا على جيشه الذي كان أكثر عدداً، ونجا بنفسه إلى المنصورية (الصياد) قرب جنزور غرب طرابلس فيمن بقى معه. ومن بعدها لجأ إلى إبنه "تميم" حاكم المهدية وبها تقبل وجود العرب. فزوج بناته الثلاث من أمراء العرب وهم فارس بن أبي الغيث وأخوه عائد والفضل بن أبي على المرادي، وتوفي هنالك سنة 1062م (453هـ) بعد حكم دام 49 سنة.

وأصبحت هذه القبائل العربية أداة حربية ودفاعية في أيدي الأسر البربرية الحاكمة، وقمعية لكل من عادى الحكومة، لما بينها من مصالح مشتركة. الأولى تريد المال والجاه والأراضي، والأخرى تريد القوة والمنعة لتمكينها في الحكم. بل تبربر بعضها، واصبح من البربر في أجزاء من طرابلس الغرب والجزائر والمغرب الأقصى.

وتوزعت القبائل العربية في مواطنها الجديدة. فغّربت أغلب بني هلال إلى تونس وما وراءها. واستقر الأمر لبني سليم في ليبيا التي كانت تتألف من خمس قبائل كبيرة هي:

1) بنو عوف
2) بنو دباب
3) بنو زغب

1 -الزاوي - المصدر نفسه صـ 299-300.
2 - المصدر نفسه (الهامش) صـ 292.
3 - اغسطيني - سكان ليبيا]طرابلس[(تعريب التليسي) صـ 30.
4 - اغسطيني - المصدر نفسه صـ 29-38.

4) بنو هيب

5) بنو لبيد ؛

ولحقت بهم أيضاً القبائل الموالية.

وكانت هذه القبائل مقيمة في برقة والمنطقة الوسطى شرق طرابلس؛ حتى حملة شرف الدين قراقوش سنة 1172م (568هـ)، مولى الملك المظفر تقي الدين بن أيوب أخي صلاح الدين الأيوبي، وجنده من المصريين والأكراد وأنصاره في صراعهم مع الموحدين وأمراء البربر وخاصة قبيلة هوارة. فانضم إليه عربان بني دباب السُليميين وكثير من الهلاليين، والشيخ مسعود بن زيان شيخ الدواودة الرياحيين، ورفض الشيخ مرغم بن صابر بن عسكر شيخ الجواري الانضمام إلى قراقوش فقبض عليه وباعه إلى النصارى. فقويت شوكته مما أدى إلى احتلال طرابلس. وغيرها من الأحداث الدامية التي أدت إلى توزيع جديد للسكان نوعاً وعدداً على الخارطة الليبية. وبعد مقتل قراقوش استقر معظم رجاله من الأكراد الذين جاءوا لمساندته

1 - ليس بهاء الدين قراقوش مملوك صلاح الدين الذي ناب عنه في حكم مصر وبنى سور القاهرة وقلعتها، الذي أسره الإفرنج فافتداه صلاح الدين، ولكن شرف الدين قراقوش (قراقش) أحد موالي الأيوبيين من المماليك، ارمني الأصل، احتل وملك طرابلس وفزان بجند جلهم من الكرد، و اخضع القبائل الليبية لسلطانه ومن رفض قتله أو نكل به أو كما فعل مع شيخ قبيلة الجواري من بني دباب فقد قبض عليه وباعه إلى حاكم برشلونة النصراني. وفي رواية أخرى تقول بأن الجنويين (الطليان) هم الذين أسروه وباعوه. وبعد صولة دامت سنيين لجاء قراقوش إلى ودان حيث لقي حتفه سنة 1212م (609هـ). ويقال بأن حي قرقارش بطرابلس مسمى علي قصره الذي شيده هنالك.
راجع: كمالي - مصدر سبق ذكره صـ 34.

2 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي صـ 317-320.

3 - المصدر نفسه صـ 319.

4 - الزاوي - أعلام ليبيا صـ 411.

ونصرته. وثمة رواية واسعة الانتشار ترجع سكان ورشفانة الحاليين إلى أصل كردي، ولكن البرموني يقول: بأنهم اغلبهم من عرب الجواري من بني سليم، ولكن الأرجح أن الكرد استقر بهم المقام في ضواحي جنزور والعزيزية وورشفانة واختلطوا وذابوا في الأهالي من سكان المنطقة. والأهالي تعبير غالباً يطلق على أهل البلاد الأصليين الذين استعربوا بعد الفتح الإسلامي.

ارتحل قسم من بني عوف ودباب من بني سليم إلى تونس، ويمكن القول بأن البقية الباقية تكون الأغلبية الساحقة في غرب ليبيا، مع بعض الفروع بالجنوب التونسي، والذين مازالوا ليومنا هذا يكونوا السواد الأعظم من سكان المنطقة من ذوى الأصول العربية.

و من بني دباب من بني سليم :

- عرب الشرق، وهم: أولاد سالم (السوالم)، وأولاد سليمان؛
- وعرب الغرب، وهم: الجواري والحاميد.

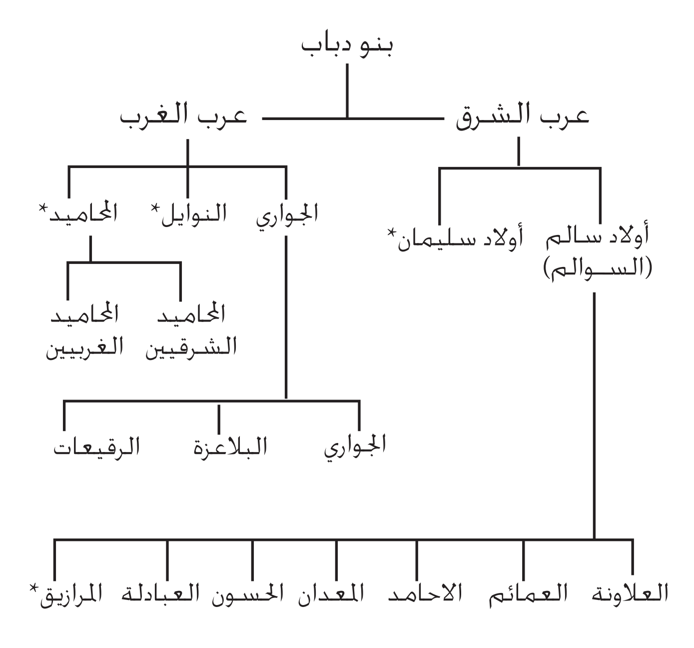
ويقصد بالشرق والغرب مواقعهم الجغرافية، وذلك يعني شرق وشرق جنوب، أي بين مدينة سرت ومدينة طرابلس، وغرب وغرب جنوب ولاية طرابلس، من مدينة طرابلس إلى الحدود التونسية.

1 - مناع - الأنساب العربية في ليبيا صـ 465.

2 - الزاوي - معجم البلدان الليبية صـ 171.

3 - كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب حسن الهادي بن يونس). صـ 37.

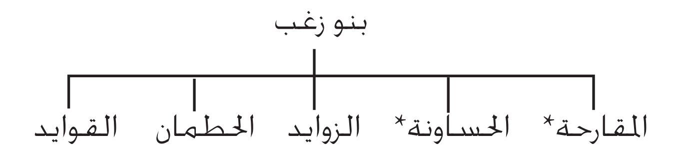
شجرة قبائل بنو دباب السُليمية العربية في طرابلس
(أهم وأكبر كتلة قبلية متجانسة
من ناحية قرابة الدم في غرب ليبيا)



1 - راجع: اغسطيني - سكان ليبيا]طرابلس[(تعريب وتقديم خليفة التليسي)، صـ 380.
كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب وتعليق حسن بن يونس)، صـ 42-55.
التليسي - معجم سكان ليبيا صـ 336
الزاوي - معجم البلدان الليبية صـ 108، 155-171.
الزاوي - أعلام ليبيا صـ 307.
البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي صـ 342.
* هاجرت شريحة لا بأس بها منهم إما إلى تونس أو مصر أو تشاد. راجع: باب الهجرات المتعددة للقبائل الليبية وتأثيرها في دول الجوار.

ونزلت بنو زغب السُليمية في الجفرة وفزان، حسب ما يراه ابن خلدون، واستقر أغلبهم في واحات الجفرة وفزان وهم بدو (شبه رحل)، ومنهم المقارحة، والحساونة، والزوايد، والحطمان، والقوايد وغيرهم.

(أهم واكبر تكتل قبلي متجانس
من ناحية قرابة الدم العربي في فزان بالجنوب الليبي)



وسكنت قبيلتا هيب ولبيد في برقة. وطبقاً لما يذكره المؤرخون العرب بأن برقة قد عُمرت بقبيلتي هيب ولبيد وبعض بطون دباب، وجماعات أخرى مثل رواحة وفزارة ونصرة وعزة وجعفر، وآخرين من أصول غير معروفة حيث تضاربت الأقوال والآراء بشدة حول أصول هذه الجماعات إذ كانوا من البربر المستعربة أو عرب الفتح.

أشهر سلالة قبلية في برقة هم "قبائل" السعادي من قبيلة هيب، وهم - كما هو مزعوم - ينحدرون من صلب ذئاب أبى الليل

1 - كمالي - مصدر سبق ذكره (الهامش)، صـ 27-28، 39.
2 - المصدر نفسه صـ 55.
3 - راجع: كمالي - المصدر نفسه.
*هاجرت شريحة لا بأس بها منهم إلى تشاد. راجع: باب الهجرات المتعددة للقبائل الليبية وتأثيرها في دول الجوار.

السـلمي من هيب من بني سليم زعيم قبائل بني سُليم وهلال التي اسـتوطنت ليبيا. وتزوج من سـعدة ابنة خليفة بن مذكور الزناتي أحد قادة ورجالات الأمير المعز بن باديس كما تقول الروايات الشـعبية. وخلف منها ثلاثة أبناء وهم : برغوث، وعقار، وسـلام. وبهـذا أصبحت اكبر وأقـوى قبائل برقة من خؤولـة بربرية. وهذا تعبير عن حقائق تاريخية من تلاحم بين العنصر العربي والبربري، آخذاً بعين الاعتبار التسلسل النسـبي الذي تعارف عليه العرب والبربـر بينهم وما يثبته من ترابط بينهما نتيجة الاشـتراك في جد واحد كقاسم مشترك وعامل مساعد للتعايش معاً.

كـذلك تزاوج الطبقات القيادية بين العرب والبربر لاستمرارية النسـل القيادي الذي عبر عن نفسـه في قبائل السعادي والدور الـذي لعبته في تاريخ ليبيا، وحب الآخريـن في الانتماء إلى هذه الكتلـة مـن البربر والعرب بـل إن من يزعم بأنهم مـن آل البيت مثل البراعصة وغيرهم من الأشـراف من يعدون أنفسهم جزءاً مـن هذا التكتل القبلي؛ للأهمية البالغـة لهذا التكتل متمثلاً في سـعدة البربرية. وأغلب قبائل برقة تقول أنها تنتمي إلى هذا التسلسـل، مـع انهم لا يملكون السـند الذي يرتقـي بهم إلى سعدة، ولهذا يقرون بأنهم خليط من الجميع؛ ولكن الأهم انهم "سـعادي".

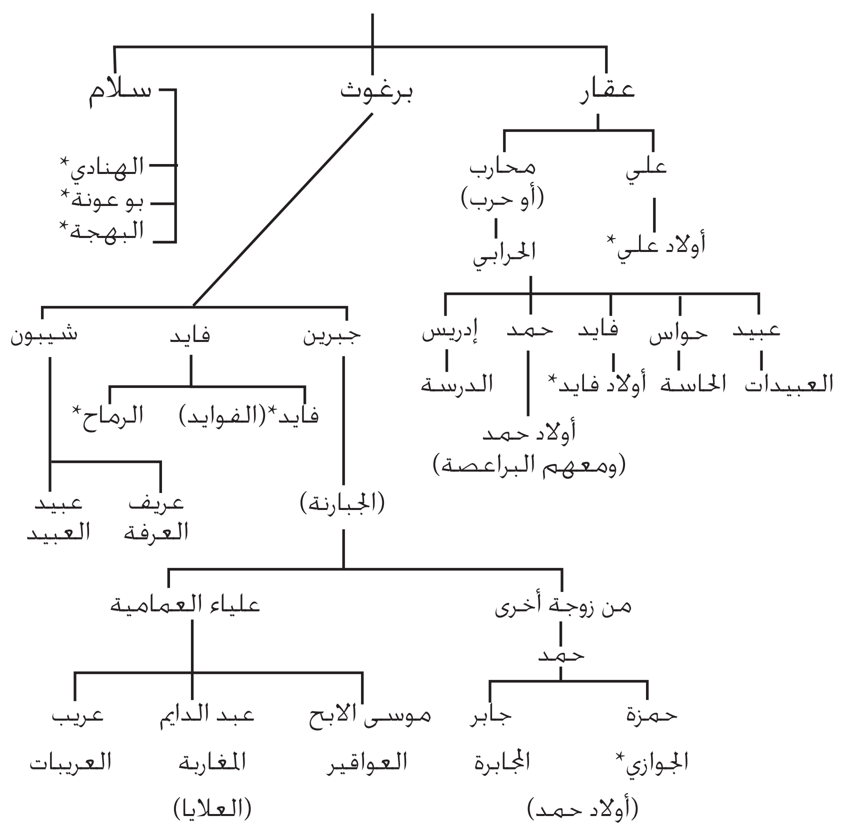
1 - بازامه في كتابه " تاريخ (متصرفليك) برقة" يسـتنتج بأن قصة سـعدة 2 عبارة عن أسطورة جاء بها الخيال. وفرضتها ظروف وأوضاع آنذاك.

2 - Brett & Fentress, op. cit., pp 136-138.

3 - كمالي - المصدر نفسه (الهامش). صـ 27-28. 39.

شجرة قبائل السعادي ببرقة

(من ذرية ذئاب أبى الليل السلمي العربي من
زوجته سعدة بنت خليفة بن مذكور الزناتية البربرية)



*انتقـل أغلبهم إلـى الصحـراء الغربية وصعيـد مصر. راجع: بـاب الهجرات المتعددة للقبائل الليبية وتأثيرها في دول الجوار.

علمـاً بأن كلمة "سـعادي" تطلـق علـى كل مـن انتمى إلى قبائلها بسـند أو بدون، وتقال من باب التفاخر والتباهي للانتماء لهذه الرابطة. وهذا اسـتنتاج وخلاصة عدة روايات شـعبية وآراء النسابة حول شجرة السعادي وبطونها وفي مقدمتهم أستاذنا الكبيـر - مؤرخ برقة - المرحوم محمد بازامه الذي اسـتفاض في دراستها وتحليلها بإمعان وفي نظري أكثر من غيره.

1 - بازامه - تاريخ برقة في العهد العثماني الأول صـ 97-113.

الباب الثاني

1. التعريب بين الترغيب والترهيب
2. الإسلام دين وهوية
3. شريحة كبيرة من الأئمة والعلماء من أصول غير عربية
4. التنافس المذهبي بين الإباضية والمالكية
5. انتشار التصوف وتعدد طرقه
6. فكرة الأصل الموحد بين العرب والبربر
7. العروبة ليست حكراً على أحد
8. تقبل العرب البربر كأنداد
9. التشابه في نمط الحياة والعقلية والقريحة
10. الصيغة الاجتماعية للأسرة والقبيلة
11. اللغة العربية وعنفوانها
12. معسكر العرب وشوكتهم
13. الهجرة والترحيل
14. العدو المشترك
15. إملاءات المنافع والمصالح
16. ضغط الحكام العرب على العجم وغير المسلمين

قال الشاعر العربي :

دعي القوم ينصر مدعيه
ليحلقه بذي الحسب الصميم

أبي الإسلام لا أب لي سواه
إذا افتخروا بقيس أو تميم

التعريب بين الترغيب والترهيب

ارتكز التعريب على ركيزتين أساسيتين هما الدين واللغة. فالدين الجديد الذي أتى به العرب أصبح المحرك الأوحد لحياة الملايين من البشر ممن اعتنقوه على اختلاف أعراقهم وألسنتهم ... أما اللغة وتبيعاتها من ثقافة وعادات وتقاليد اكتسبت زخماً قوياً من الدين مما سهل للغة العربية أن تحل محل اللغات المحلية، وأن كان ذلك نتيجة سياسات اتسمت في أغلب الأحيان بالتدافعية.

ومن ثم لحق ذلك التعريب العرقي الذي كان وليد الهجرات الجماعية من العرب إلى تلك الأمصار، مما ترتب عليه تزاوج وانصهار مع السكان الأصليين غلب الدم العربي لغةً وعادات وتقاليد على الدماء المحلية. علماً أن ظاهرة التعريب سبقت ظاهرة الأسلمة، حيث سبق وأن هاجرت بعض قبائل العرب قروناً قبل بزوغ شمس الإسلام إلى العراق وبلاد الشام، وتحديداً قبيل ظهور الإسلام بقرنين كانت القبائل العربية تتمتع بالملك والحكم في حمص والرها وما جاورهما من الساحل. كما قامت مملكتان مزدهرتان عربيتان في تدمر والحيرة. فاستوعبت فلسطين وشرق

انطونيوس - يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية صـ 73.
المصدر نفسه صـ 74-75.

الأردن اكبر نسبة من العرب وكان حظ بلاد الشام والعراق دون ذلك، وحظ الشمال الإفريقي أقل منهما.

لذا تغير مفهوم العروبة من القبلية القاصرة على البداوة في قلب صحراء الحجاز ونجد والربع الخالي في جنوب وشمال جزيرة العرب، إلى عروبة الحضر، عروبة المدن المحاذية للشواطئ، وعروبة الصحراء التي تقطنها أعراق وقبائل غير عربية، إلى خارج الجزيرة العربية. ومن عروبة الجاهلية والثارات، إلى عروبة الإسلام والتعايش بالحوار والتسامح.

والعروبة المغربية تختلف عن العروبة المشرقية في منطلقاتها ومضامينها. إن إحدى لوازم العروبة في المغرب العربي هي الإسلام بينما في الشرق العربي ليس ذلك بضرورة. وفي المغرب العربي، وخاصة ليبيا، الإسلام والعروبة خطان ملتصقان لا فصل ولا افتراق بينهما، ومن اعتنق الإسلام ديناً تقبل العربية لغة رسمية، وانتمى إلى الأرض، وشعوب المنطقة العربية المجاورة، وكذلك الولاء السياسي والثقافي، والتكامل والتبادل الاقتصادي باسم الإسلام والعروبة.

فمصطلح العروبة كان ومازال مطاطي الطبيعة، واستيعابي الأسلوب للغير، ليس هذا من باب التمنن والتفضل ولكن من مقوماته الحيوية، وكذلك ضرورة ألحتها الظروف البشرية. ويقسم الباحثون العرب حسب تطورهم في التاريخ وسلالاتهم إلى عرب بائدة، وعرب مستعربة، وعرب حادثة. وفي

1 - المصدر نفسه صـ 77.
2 - محمد إسماعيل على - مجلة الفيصل. العدد 158 سنة 1990م.
3 - بازامه - أثر الدين والقومية في تاريخ الأمة الإسلامية صـ 144-145.

الأزمنة الغابرة والحاضرة لم يقتصر على المسلمين بل ضم ديانات أخرى. أما في ليبيا فاقتصر على من اعتنق الإسلام وتحدث بالعربية واعتز بانتمائه للعرب، سواء كان من أصول عربية أو بربرية أو أفريقية أو عثمانية أو غيرهم؛ باشتراط الإسلام للتعرب في إطار الدولة ولغرض التلييب في الآونة الأخيرة. وهذا الانتماء إلى العروبة والتحدث بالعربية كان فقط للعيش على الأراضي المكتسبة لغرض الأسلمة أولاً وأخيراً.

لذلك استوجب النظر في هذا الانصهار العام بين البربر والعرب واندماجهم في بعضهم البعض، وهو أمر لم يتم إلا مع الفينيقيين من قبل. ولم يحدث مع الأوربيين منذ قدوم الإغريق، ثم الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد حتى الفرنسيين والأسبان والطليان في العصر الحديث، مما ادهش المؤرخون الأوربيون لسرعة إسلام البربر وتعريبهم واندماج العرب فيهم، فيقول جورج مارسيه: ففي أقل من قرن واحد اعتنق العدد الأعظم من أبناء البربر الإسلام في حماس يجعلهم راغبين في اغتنام الشهادة، وقد تمت النقلة بصورة نهائية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، أو القرون الثلاثة التالية غير تاركة من بلاد المغرب سوى بقع ضئيلة أصبح حتى مجرد الاعتقاد في وجودها أمراً مشكوكاً فيه.

1 - كانت قبل الإسلام قبيلة حمير (يهودية). وقبيلة نجران (نصرانية). ولازال إلى يومنا هذا عرب مسيحيون في مصر والسودان والعراق وبلاد الشام. كما هي الحال مع اليهود في المغرب واليمن. راجع: بازامه - المصدر نفسه صـ 76.
2 - البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي صـ 94-95.
3 - George Marcais - Les Berberie Musulmane er l'orient au Moyen Age نقلاً عن العرباوي - البربر عرب قدامى صـ 64..

والبعـض يتسـاءل لماذا لـم يرتـد البربر عن الإسـلام بصورة نهائية ؟ ولعل الإجابة تكمن في الإسلام نفسه.

والتعريـب تقاطـبَ بالترغيـب والترهيـب. وعلـى الرغم من تضادهما إلا أنهما خدما العروبة والإسـلام. حيث وضعا سـكان المنطقة تحت ضغوط أدت نتيجتها إلى التعرب. فقطب الترغيب كان أقواهما، ومتمثلاً في الإسـلام بما فيه من مفاهيم وعناصر اكتناف واسـتيعاب وسـيادة. ويأتي بعده قطب الترهيب بما فيه من نعرة شـوفينية ومغالية فـي عصبيتها بحبهـا للعرب دون سواهم، وعقدة التفوق والعلو على الغير.

ففي مسـيرة التعريب كثير من مقومـات الترغيب وقرائنه، ومنها:

1) الإسلام دين وهوية :

وبمجيء الإسـلام تبلور مفهـوم العروبة، فدخلـت أفواج من البشـر على مختلـف مشـاربها العرقيـة في بوتقة الإسـلام باعتباره رسـالة تدعو إلى المؤاخاة وتسعى إلى تحرير الإنسان من العبودية والاسـترقاق. وقد يسـر انتشار الإسـلام بين البربر قربه من فطرتهم وبسـاطة رسـالته مـن حيث الفهـم أو الاعتناق. وقد أزال الإسـلام الحواجز الاجتماعية ولـم يصطنع بينهم وبين العـرب كلفـة مثل تلـك التي كانت بـين البربـر وحكامهم من الروم البيزنطيين، وهذا انسـجاماً مع ما يدعو إليه الإسـلام من مساواة.

1 - كمالي - سكان طرابلس الغرب (تعريب حسن يونس)، (المقدمة) صـ 8.
2 - مطـر - الـذات الجريحـة (إشـكالات الهوية فـي العراق والعالـم العربي) ص 312.

فالإسـلام ليس ديناً عرقيـاً، ولا يختص بعرق دون عرق، وليس مـن صنع قومية معينة، وبالتالي هـو ليس من معطيات العرب ولكنـه مـن فضل الله تعالـى عليهم. ويؤكد القـرآن على هذه المسـلَمة الإلهية حيث قال جل شأنه: يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكـر وأنثى وجعلناكم شـعوباً وقبائل لتعارفـوا إن أكرمكم عنـد الله اتقاكم ... وقال تعالى ... إن الدين عند الله الإسـلام". ولكـن الله تعالى اختار لغة العرب لتكـون لغة الوحي والتفاهم بين المسـلمين. والعروبة عروبة اللسان الذي انزل به القرآن الكريم كمـا جاء ذلـك في أكثر من ثمان سـور منها: إنـا جعلنه قرءاناً عربيا"، ... وهذا كتاب مصدق لسـاناً عربياً، ... بلسان عربي مبين، ... وهذا لسان عربي مبين.

وجاء في الأحاديث الشـريفة على الرغم من ضعفها: يا أيها الناس إن الـرب واحد، والأب واحد، وليسـت العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنمـا هي اللسـان، فمـن تكلم بالعربية فهـو عربي". وعروبة الانتماء هي إلى النبي عليه الصلاة والسلام وإلى آل بيته وصحابته. ومن هذا المنطلق فالعروبة التي يُعتز بها ليست ضرباً مـن القومية، وقد خاطب الرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم

1 - الحصين - القومية العربية من منظور إسلامي صـ 20.
2 - سورة الحجرات، آية 13.
3 - سورة آل عمران، آية 19.
4 - سورة الزخرف، آية 3.
5 - سورة الاحقاف، آية 12.
6 - سورة الشعراء، آية 195.
7 - سورة النحل، آية 103.
8 - قال الألباني في السلسـلة الضعيفة الجزء 2/ الصفحة 325/ رقم الحديث 926 : بأنـه حديـث ضعيف جداً، رواه ابن عسـاكر في تاريخ دمشـق جـ7/ صـ 203.

قومه من بني هاشم، وهم من قريش سيدة قبائل العرب: يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم فوالله لا أغنى عنكم من الله شيئاً.

فالعروبة الإسلامية هي التي جعلت العرب أمة حضارية تضاهى أعظم الأمم بتاريخها الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي والإنساني. وكل ما حصل للعرب من تقدم وعزة ورفعة إلى يومنا هذا بفضل الإسلام وحده، وقد امتد فضل القرآن على لغة العرب فجعلها مقدسة وهي اللغة العالمية لجميع المسلمين في العالم والجنة، وحماها من التفتت والانقسام إلى لغات ولهجات لا يتفاهم المتحدثين بها مع بعضهم البعض، كما حصل مع اللغة اللاتينية بعد تمزقها إلى عدة لغات منها الإيطالية والأسبانية والبرتغالية والفرنسية ..الخ. كذلك أصبحت مكة مهوى أفئدة المسلمين في العالم، وهذا كله لحكمة إلهية.

وهذا ليس تقليلاً من شأن العرب المسلمين، ولكن من

1 - ذكره الزمخشري في تفسيره للقرآن، وقال الحافظ الزيلعي في تخريجه لأحاديثه جـ 1 صـ 91 : "غريب جداً".
راجع: تخريج الأحاديث والآثار لجمال الدين عبد الله بن يوسف الزيلعي، الطبعة الأولى سنة 1414هـ تحقيق عبد الله السعد، دار ابن خزيمة، السعودية.
وثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاطب قريشا قائلاً: "إن أوليائي منكم المتقون ؛ فإن كنتم فذاك، وإلا فانظروا، لا يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتون بالأثقال، فيعرض عنكم".
رواه البخاري في كتاب الأدب المفرد، 75/40. قال الألباني في صحيح الأدب المفرد 55/56 : "حديث حسن".
2 - الحصين - مصدر سبق ذكره صـ 20.
3 - أصبحت اللغة العربية أحد لغات العالمية المتخاطب بها في هيئة الأمم المتحدة إلى جانب الإنجليزية والفرنسية والروسية والمندرين الصينية والأسبانية.

باب التحدث بنعم الله تعالى لاختيارهم لهذا الدور التاريخي العظيم، والسمو بهم إلى طبقات العلو والرقي. فهنالك من الأحاديث التي وضعت أو رُفعت على ضعفها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن فضل العرب مما ساعدت وأسرعت في التعريب، فنسب إليه عليه الصلاة والسلام في فضل العرب قوله: حب العرب إيمان وبغضهم نفاق. ... ان الله اختار من بني أدم العرب ومن العرب مضر ومن مضر قريشاً واختار من قريش بني هاشم واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضهم أبغضني، ... إذا ذل العرب ذل الإسلام.

وجميع هذه النصوص جعلت من التعريب مادة للترغيب في الانتماء إلى الإسلام، لما فيه من مساواة وعدالة بين الناس على مختلف ألوانهم وألسنتهم. والعروبة هوية لهذا الدين الحنيف الذي اقر القاعدة الذهبية، بأنه: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولذلك استأنس الإباضية بالآية

1 - رواه الطبراني في المعجم الأوسط ، 2537/76/3. قال الألباني في السلسلة الضعيفة 1190/329/3 : "حديث ضعيف جداً".
2 - رواه الحاكم في المستدرك، 6953/83/4، والطبراني في المعجم الأوسط ، 6182/200/6. قال الألباني في السلسلة الضعيفة 7/75/ 3038 : "حديث ضعيف".
3 - رواه أبو يعلى في معجمه، 1881/402/3. قال الألباني في السلسلة الضعيفة 163/301/1: "حديث موضوع".
4 - صيغة حديث: " يا أيها الناس! إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : فيبلغ الشاهد الغائب."
رواه الإمام أحمد في المسند ، 23536/411/5. قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة 2700/449/6 " حديث صحيح ".

الكريمة: إن أكرمكم عند الله اتقاكم وجعلوا شروط الخلافة في من توفر فيه الكرم والتقوى. واسقطوا القرشية أو الهاشمية كما قال بذلك السادة الأحناف. واتفق جميعهم على أن الإسلام بالعرب يبقى وبالعجم يقوى. والدكتور كلوفيس مقصود يقول: لا عروبة بدون إسلام، ولا إسلام بدون مرجعية عربية.

وأن التعريب تأكيداً وإصراراً على مقتضى المرجعية العربية للهوية الإسلامية. وكل لغات المسلمين تجدها مطعمة بالعربية، بل حتى بعض اللغات الأوربية التي تتفاوت فيها نسبة اللغة عربية من غلبة، مثل المالطية، إلى نسبة لا بأس بها مثل الهندية والأسبانية والخ.

2) شريحة كبيرة من الأئمة والعلماء والمفكرين المسلمين من أصول غير عربية:

عدد من أئمة المذاهب الإسلامية وأهل العلم والقادة من أجناس مختلفة وألوان متباينة، وإلى جانب العرب منهم كان ومازال في جوهر الفكر والدعوة الإسلامية العربية المبنية على قواعد عربية، ولكن من عنى وسهر لهذا البناء الحضاري الشامخ كان جلهم من غير العرب. وتذهب كثرة من مصادر التاريخ

1 - سورة الحجرات، آية 13.
2 - الشكعة - إسلام بلا مذاهب صـ 139-140. الطبطبائي - الإباضية تاريخاً وعقيدة صـ 54.
3 - أكاديمي ومفكر لامع، لبناني مسيحي كان يشغل منصب رئيس الجامعة العربية بلندن في التسعينات، وثم اصبح رئيس مركز دراسات الجنوب بالجامعة الأمريكية بواشنطن.
4 - الحصين - مصدر سبق ذكره صـ 83-86.

المعتبرة إلى أن الإمام أبى حنيفة وابن حزم الأندلسي والإمام الطبري من طبرستان والبيهقي من أصول فارسية. كذلك من أصول عجمية كل ابن سيرين وابن خلكان والشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل وياقوت الحموي وسيبويه وابن سينا. والليث بن سعد، إمام أهل مصر في عصره من أصول خراسانية، وإبراهيم الاجدابي - الفقيه الأديب النسابة - من قبيلة لواتة البربرية التي كانت تسكن إجدابيا بليبيا قبل هجرة بني هلال وسُليم. وكذلك هناك من قال بأن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية من أصول غير عربية.

أغلب أصحاب كتب الحديث من غير العرب ابتداءً من الإمام البخاري والترمذي وابن ماجة إلى الإمام النسائي. حتى علم القراءات الذي به احكم نطق آي الذكر الحكيم أو ما يعرف بعلم

1 - تذهب بعض المصادر بالقول بأن الإمام مالك والإمام الشافعي من أصول أعجمية (فارسية) وأخوالهما من اليمنيين، والى أجدادهم القبائل العربية. فانتسب أجداد مالك إلى بني تيم، وأجداد الشافعي إلى قريش. ولكننا بعد تمحيص نرِي ترجيح عروبتهم على القول بأعجميتهم. أما أبو حنيفة فهو حفيد لعبداً فارسيا .. والله تعالى اعلم.
.Cf; Hitti, History of the Arabs, p 397
2 - خليفة، عبد الكريم - ابن حزم الأندلسي (حياته وأدبه) صـ 11-14.
3 - الزحيلي - الإمام الطبري صـ 29-30.
4 - الزركلي - الأعلام جـ 5، صـ 248.
5 - السعيطي - مدينة من مدن الشمس: اجدابيا صـ 77.
6 - هناك من يقول بأن أصوله كردية. ولكن الشيخ محمد أبو زهرة نقل في كتابه "تاريخ المذاهب الإسلامية" ان الأستاذ بهجت البيطار اثبت أن ابن تيمية عربي نميري، وأكد على عروبته. راجع: إبراهيم محمد العلي - شيخ الإسلام ابن تيمية رجل الإصلاح والدعوة (دار القلم - دمشق – 2000م) صـ 36. نقل فيه رأي الزكاوي في كتابه "الزيارات" صـ 94 بأن ابن تيمية هو عربي الأصل.
7 - الحصين - مصدر سبق ذكره صـ 83-86. أمين - ضحى الإسلام صـ 171-203. الوائلي - هوية التشيع صـ 94-98.

التجويد لصون الكلمات القرآنية من التحريف والتصحيف والزيادة والنقص عنى به من هم من أصول موالي، أي ليسوا من العرب. وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف محقق كتاب "السبعة في القراءات لابن مجاهد" بأن "أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن عامر اليحصبي عربيان والباقون من القراء]السبعة[من الموالي". وأكثر القراءات المتبعة في المغرب الإسلامي قراءة الإمام نافع وهو من الموالي وتلميذه عثمان بن سعيد المصري الملقب - ورش - وأصله من أقباط من مصر.

أما أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، درة جبين الإباضية وأحد أوطاد المذهب. كان اسود اللون زنجي الهيئة، اعور، وهذه العيوب تلاشت أمام علمه وفضله وزهده وتقواه. وأسرف الإباضية فيه إسراف الشيعة في مدح الإمام علي والثناء عليه، حتى قائل أحد العلماء الإباضية المعاصرين له: أبوعبيدة مسلم .. أحيى به أرواح الحق في أقطار شتى، وكساه من لدنه وقاراً، وأضفى عليه من ملابس الإيمان أوفاها.

ولو أردنا أن نسترسل ونتتبع هذا الخط في نبش أصول العلماء فسنصل إلى نسبة عالية جداً من الناحية الأصول والموالاة والخؤولة بين العلماء والمؤرخين والمفسرين إلى غير الأرومة العربية. وإبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

1 - علم التجويد يتناول الكلمات القرآنية من حيث إحكام حروفها وإتقان النطق بها وبلوغ الغاية في تحسينها وإجادة التلفظ بها.
ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي التميمي) - السبعة في القراءات - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف المصرية 1400هـ (1980م).
2 - المصدر نفسه صـ 53.
3 - الشكعة - مصدر سبق ذكره صـ 148-149.

أمه مارية المصرية - القبطية سابقاً - وعلي زين العابدين بن الحسين أمه شاه زنان ابنة يزدجرد أحد ملوك الساسانيين الفرس، والسيدة حميدة بنت صاعد - زوج الإمام جعفر الصادق (الإمام السادس عند الاثنى عشرية) وأم الإمام موسى الكاظم (الإمام السابع) صاحب المشهد والمزار العظيم في حي الكاظمية ببغداد - بربرية الأصل.

علاوةً على كثير من القادة المظفرين مثل طارق بن زياد من البربر وصلاح الدين الأيوبي كردي وآخرون من ولاة وحكام المسلمين من غير العرب سواء كانوا بربراً، أو سلاجقة، أو أيوبيين، أو مماليك، أو صفويين، أو عثمانيين أو غيرهم. ولهذا سهل هذا الدين والعروبة بنفسها، عملية التعريب.

3) التنافس المذهبي بين الإباضية والمالكية :

كان للمذهب الإباضي السبق في الانتشار في شمال أفريقيا عامة والديار الليبية خاصة. وكان آنذاك مذهب أغلبية السكان وكسب أنصاراً وشيعةً له خاصة في طرابلس وجبل نفوسة. فانتشر في خلال عشرين سنة في ما بين سرت وتلمسان قرابة 737م (120هـ) على أيدي سلمة بن سعيد الذي قدم من المشرق إلى أفريقية، واجتمع بكل من عاصم السدراتي وإسماعيل بن

1 - لوساني - الدروس البهية في مجمل أحوال الرسول والعترة النبوية صـ 74-75.
2 - المصدر نفسه صـ 106.
.Momen, an introduction to Shiôi Islam, p 34
3 - الشكعة - مصدر سبق ذكره صـ 135.
4 - الطبطبائي - الإباضية تاريخاً وعقيدة صـ 61-64.

ادرار الغدامسي وداود القبلي النفزاوي وعبد الرحمن بن رستم واخذوا عنه المذهب الإباضية. ثم ذهب جميعهم إلى البصرة للتفقه ومكثوا خمس سنوات ثم رجعوا دعاة وأعلام لهذا المذهب القابل للانتشار لما له من اعتبارات سياسية لكونه مذهب يناوئ السلطة المركزية، ويعطي أتباعه الشرعية للخروج عن معسكر السلطان ومحاربته إذ ما ثبت انحرافه عن الدين، وكان ذلك للبربر بمثابة آلية للتنفيس عن سخطهم على ولاة العرب الجورة، وتطلعاً إلى التمكين لهم في المناطق الآهلة بهم.

لقد انتشر المذهب الإباضي قبل مجيء، أو بالأحرى خروج، المذهب المالكي إلى الفضاء الفقهي الذي انتشر على يد علي بن زياد العبسي الطرابلسي المولد والنشأة. تلقى المذهب عن صاحبه الإمام مالك في المدينة المنورة، إمام دار الهجرة. ثم عاد إلى طرابلس مصحوباً بالموطأ الذي تشرف بكونه أول من ادخله إفريقية، وعمل على نشر أصول وفلسفة المذهب الجديد في ربوع

1 - إسماعيل بن ادرار الغدامسي أحد الخمسة الذين نشروا المذهب الإباضي في الشمال الإفريقي وهو دفين واحة غدامس.
راجع: التليسي - معجم سكان ليبيا صـ 106.
2 -العرباوي - البربر عرب قدامي صـ 35.
3 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا صـ 156-160.
4 - البرغوثي - تاريخ ليبيا الإسلامي صـ 84-90.
5 - قال عنه الشيخ الطاهر الزاوي في أعلام ليبيا - (سمع من سفيان الثوري، والليث بن سعد، والإمام مالك، واخذ منه البهلول بن راشد، والإمام سحنون، وشجرة بن عيسى، وأسد بن الفرات ولم يكن بأفريقية أحد مثله. أول من ادخل موطأ مالك لأفريقية وفسره. كان أهل العلم بالقيروان إذا اختلفوا في مسالة كتبوا إليه ليخبرهم من هو على صواب). وقال الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام " كان إماماً ثقة متعبداً، بارعاً في العلم".
6 - الزاوي - المصدر نفسه صـ 193-194.
7 - الشريف - الجواهر الإكليلية في أعيان وعلماء ليبيا من المالكية ص 34-36.

ليبيا. وانتقل ابن زياد إلى القيروان للتدريس في جامعها الكبير، فتتلمذ عليه العالم والقاضي سحنون، واخذ عنه المذهب ونشره في القرن الثالث هجري (التاسع والعاشر ميلادي) في الشمال الأفريقي. وتوفي سنة 854م (240هـ).

كان البربر ينعتون كل من هو ليس إباضياً بـ "اورمين" أي روماني، ويقصد بها النصارى، لما رأوا في المذهب الإباضي من شعارات إسلامية تعبر عن آمالهم وآلامهم. ولكن سرعان ما انتشر المذهب المالكي على حساب المذهب الإباضي، وساهم ذلك في انحسار المساحة الإباضية على الساحة الليبية وتضييق الدائرة الإباضية وتحجيمها في جيوب صغيرة، مما دفع بأغلبية البربر وبعض العربان، الذين تبربروا فيما بعد، ومن أراد الحفاظ على هويته العرقية والمذهبية إلى جبل نفوسة.

وهذا التنافس جعل من الاثنين إن يتحصنا بالعلوم الإسلامية، ويتسلحا باللغة العربية لتقوية حجتهم حتى يتمكنا من تحصين قواعده الشعبية، مما أدى إلى تعريب كثير من البربر سواءً من ترك الإباضية إلى المالكية أو ما ترتب عليه من أستلحاق والانضمام إلى قبائل عربية، أو حتى من بقى على إباضيته ولكنه استمر في تعليمه وتحصنه العلمي باللغة العربية لحاجة أصحاب المذهب المالكي. وعلى آية حال، فان الرغبة كانت في الانتساب إلى عروة

1 - الزاوي - المصدر نفسه صـ 194-195.
2 - الشريف - المصدر نفسه صـ 37-40.
3 - عيسى - مدخل لدراسة ميزات الذهنية المغاربية خلال القرن 17م صـ (الهامش) 112.
4 - بن موسى - المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني صـ 65.

الإسلام إباضية كانت أم مالكية.

وهــذا التنافس المذهبي كان ســلمياً في مجملــه، ولم يأخذ سمة الصراع المذهبي كما هو حال فرق الشيعة

وأهل الســنة في المشــرق الإســلامي مما ســاعد على تعريب البربر بهذه السعة والسرعة.

هذا التنافس الســلمي صب في خدمة التعريب الذي اجتاح المنطقــة نظــراً للحاجة الماســة للغــة العربية لمــن أراد أن يثبت حجته أو صحة مسألة ما استنبطها من المصادر المعتبرة. ولهذا ألــح علمــاء الإباضية من البربر واشــترط علــى مريديهم تعلم العربيــة من باب طلب العلــم والمعرفة وزيادة فــي الأجر. فهاهو الإمام الدرجيني في طبقاته ينقل أن الشــيخ أبا عمران موسى بــن زكريا المزاتي - من قبيلة مزاتة البربرية - يشــجع طلابه على تعلم العربية، فــكان يقول: تعلم حرف واحد من العربية كتعلم ثمان مســائل في علــم الفروع، وتعلم مســألة واحــدة كعبادة ستين سنة.

4) انتشار التصوف وتعدد طرقه:

كان للطرق الصوفية الأثر العظيم في نشــر الإسلام واللغة العربية بين سكان المنطقة وخاصة ليبيا. ومما زاد في إقبال البربر علــى الطرق الصوفية هو توالي بعض المشــايخ من ذوي الأصول البربرية على مشيخة هذه الطرق، وعلى رأسهم الشيخ أحمد بن عروس صاحب الطريقة العروسية والشيخ أحمد الزروق وغيرهم.

1 - الزاوي - تاريخ الفتح العربي في ليبيا صـ 158-161.
2 - الدرجيني - طبقات المشائخ بالمغرب (1217)، جـ 2، صـ 411.

وغالبــاً كانت هذه الطرق تصل إليهم ولا تنتظر الســعي إليها، وتميل إلى الرقــة والعاطفة "البرهانية" في اســتمالة مريديهم ممــن هم على هامش الحيــاة العامة وتعيــش همومهم اليومية، فتعطيهم قوة التبرك، وتعبر عن هويتهم الإســلامية الممزوجة بخلفيتهم العرقية فوق التبعية المذهبية.

5) فكرة الأصل الموحد بين العرب والبربر:

يذهب كثير من المؤرخين والنســابة العــرب وبعض البربر إلى الاعتقــاد والترويــج لفكرة الأصــل الواحد للعــرب والبربر، وذلك لأنهم أرادوا توحيد أصولهم لتفسير التمازج الذي حصل بينهم في الإســلام، بعكس الفرس أو الترك. والنظريات عدة التي خاض فيهــا الكثير كما ذكرنا آنفاً، ومما ناقشــناه في مطلع بحثنا هذا تحت عنوان البربر وأصولهم.

قامــت في المغرب الإســلامي عدة دول، وكان لهــا دور بارز في تاريــخ الأمــة الإســلامية، وكانــت العصبية الإســلامية محور مناوراتهــا السياســية، بينما بقــت النزعة العرقية في سُــبات. يقول الأســتاذ محمد ســعيد الزاهري: لم تقم (الدويلات) على العصبيــة البربرية، بل قامت كلهــا على دعوات دينية محضة لا أثر للبربرية فيها.

1 - Trimingham, Sufi Orders in Islam, p 84.
2 - خشيم - أحمد الزروق والزروقية صـ 20-21.
3 - Brett and Fentress, the Berbers, p 130.
4 - كمالي - مصدر سبق ذكره (الهامش) صـ 24.
5 - البرغوثي - مصدر سبق ذكره صـ 114-115.
6 - الزاهري - هل البربر ولغتهم لغة ضاد أخرى.

وذهبت كثير من الأسر البربرية التي أسست دويلات وإمارات مثل بنو خزرون الذين حكموا طرابلس الغرب قرابة 150 عام. وكذلك الحفصيين، ، وبنو مرين، وبنو زيان (بنو عبد الواد). وقادة الموحدين ادعوا لأنفسهم العروبة، بل أكدوا على أنهم من السلالة الهاشمية. بل مؤسس دولة الموحدين محمد بن تومرت البربري زعم أنه من نسل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه المهدي المنتظر. وألف بنو زيان الكتب لإثبات نسبهم الشريف مثل كتاب "قلائد العقيان في شرف بني زيان". ولم يقتصر هذا على البربر فحسب، بل شمل الأسرة العلوية الألبانية في مصر وسادتهم من خلفاء المسلمين الأتراك العثمانيين أيضاً. حيث شط البعض في كتاب "درر الأثمان في منبع ملوك بني عثمان" بالقول بأن أصولهم عربية حجازية من المدينة المنورة.

---

1 - الزاوي - أعلام ليبيا صـ 268-317. الزاوي - ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي ألي نهاية العهد التركي صـ 81-97.
2 - اغسطيني - سكان ليبيا: دراسة تاريخية واثنوغرافية]سكان برقة [، (تعريب د. إبراهيم أحمد المهدوي)، صـ 40-41.
3 - أسرة إسلامية من البربر. أنشأت دولة واسعة في شمال إفريقيا والأندلس 1130-1269م (525-668هـ) على أساس من تعاليمٍ بن تومرت المتوفي عام 1130م (525هـ). قضى بن تومرت قرابة 15 سنة طالباً للعلم، وبعد رجوعه من المشرق دعا الناس إلى التوحيد (ومن هنا عرف أتباعه بالموحدين). وادعى المهدية لنفسه، وسمى نفسه محمد بن عبد الله. راح يجرد الحملات العسكرية على دولة المرابطين. وبعد موته واصل خليفته عبد المؤمن هذه الحرب فقضى على دولةٍ المرابطين عام 1147م (542هـ) وأخضع المغرب واستولى على مراكش جاعلاً منها عاصمة ملكه.
4 - العرباوي - مصدر سبق ذكره صـ 65.
5 - Bosworth, the Islamic dynasties, p 30.
6 - العرباوي – المصدر نفسه.
7 - أبن غلبون - التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار (صححه وعلق عليه الطاهر أحمد الزاوي)، صـ 138.